29-ابن كثير، المصدر السابق، ص206.
30-. البحوث الأثرية
31-. سورة سبأ، الآيات 45-46
32-القاضي إسماعيل بن علي الأكوع"سدود اليمن"، مجلة المنهل، عدد454، السنة 53، 1948، ص197.
33-سورة سبأ الآية 14-17.
34-المسعودي، مروج الذهب، ج2، ط3، القاهرة، ج2، ص180-181
35-الهمداني الإكليل، برنستون 1940، ج8، ص43.
36-أحمد فخري، بين آثار العالم العربي، مصر، 1958، ص224.
37-حسن محمد الشماع (سد مأرب من عجائب العالم القديم)، المرجع السابق، ص95-96.
38-نفس المرجع، ص96.
39-نفس المرجع، ص96، وكذا: المسعودي، المرجع السابق، ج2، ص180، وكذا: أحمد حسن، شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ط2، 1954، ص.127
40-رابح لطفي جمعة، المرجع السابق، ص.101
41-سورة سبأ، الآيات 15-19.
42- سورة سبأ، الآيات 14-19.
43-رابح لطفي، جمعة المرجع السابق، ص102.

الملك سيفاقس ولقاء سيغا الدولي 206ق.م
- صفحة من الدبلوماسية النوميدية -

أ/ بن عبد المؤمن محمد*

تقديم

ليس لدينا من المصادر التاريخية الكافية التي تثبت بصفة قطعية وجود كيان سياسي مغربي مكتمل الشروط، باستثناء أسطورة عليسة ديدون 1 التي تشير إلى وجود نوع من التنظيم السياسي المغربي في منطقة تونس الحالية .حتى أن المؤرخين اعتقدوا بعدم وجود نظام سياسي وطني ببلاد المغرب القديم قبل القرن الثالث ق.م، كما لا يرجح أن تكون هناك ممالك سابقة للمملكتين النوميديتين مملكة الماسيل ومملكة الماسيسيل نسبة إلى القبائل التي أسستها 2. والملك سيفاقس Syphaxمن بين الملوك الذين برزوا أثناء الصراع الروماني القرطاجي.

لا نحتكم إلى معلومات تفصيلية عن شخصية سيفاقس إلاّ ما بدا في المسكوكات التي ضربت بإسمه، غير أنه ظهر في صورتين مختلفتين، الأولى ظهر غير متوج، وشعر قصير ولحية حادة عند مستوى الذقن، بينما في الأخرى متوج وشعر مكور ولحية دائرية الشكل3.

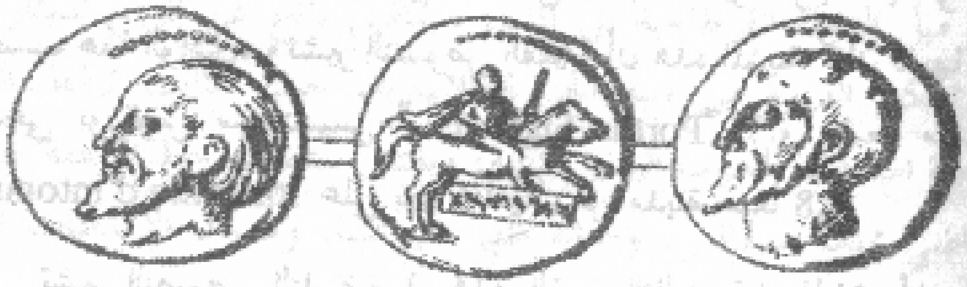

---

* أستاذ مساعد في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة وهران .

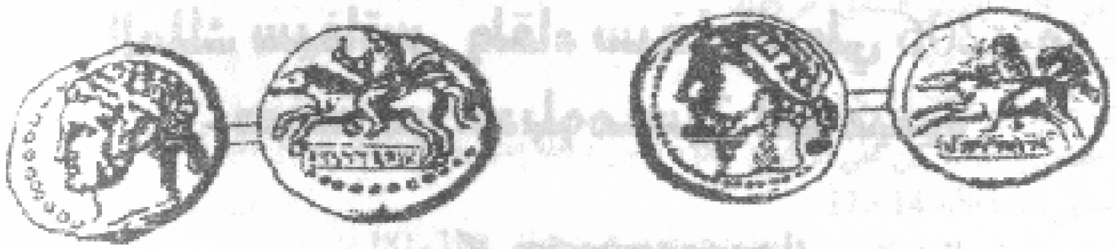

Syphaxصورة الملك سيفاقس

نقلا عن: J.Mazard , Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque , Arts et Metiers Graphiques , Paris , 1955 pp18-20.

حدود مملكته

امتدت مملكته في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد من مولوشا فلومن (Mulucha Flumen) وادي ملوية غربا إلى حدود الدولة القرطاجية شرقا – مدينة الكاف (Sicca Veneria)، ووصلت حدود مملكته مدينة مداوروش Madauros)جنوبا 4. أما سترابون فيذكر ان أراضي المملكة الماسيسيلية تحت حكم سيفاقس كانت تمتد من حدود القبائل المورية غربا التي يعني بها حدود وادي ملوية Mulucha Flumen) غربا، إلى غاية رأس تريتون Promontorium Metagonium شرقا 5.

لا يمكن التطرق لسيفاقس دون الحديث عن عاصمته سيغا Siga 6 التي يوجد موقعها الأثري على الضفة اليسرى لوادي تافنا، في المكان المسمى تاكمبريت جنوب شرق رشقون. تشغل هضبة صغيرة، وتبعد بنحو 4 كلم عن مصب هذا الوادي، وتشير النصوص القديمة أن هذه المدينة كان لديها ميناء بحري يدعى بورتوس سيجنسيس "Portus Sigensis " 7.و يضعه مسار انطونان Itineraire d'intonin على بعد 3 أميال من مدينة سيغا 8.

تشير النصوص التاريخية في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد أن سيـــغا أصبحت عاصمة مملكة ماسيسيليا (نوميديا الغربية) وملكها سيفاقس 9.

مكانة سيفاقس تعتبر مدينة سيغا من بين أقدم مدن الغرب الجزائري باعتبارها اصرت فترات تاريخية قديمة عرفتها الجزائر القديمة وهي: الفترة القرطاجية، نوميدية، والرومانية .طبق نظام اللامركزية من حيث التنظيم الإداري، كانت اصمته سيغا وسيرتا10 تسيّران من قبل موظفين سامين محليين كان يتم تعيينهم من بل الملك.

الدولية وعلاقته مع الرومان

إن التنافس الذي كان على أشده بين قرطاجة وروما، أكسبه موقعا ستراتيجيا في هذه الحرب، باعتباره قوة عسكرية في المنطقة (بلاد المغرب القديم) خاصة بعد اكتساحه لأراضي مملكة الماسيل (نوميديا الشرقية)، حيث أصبحت أراضي مملكته متاخمة لحدود الدولة القرطاجية.

كان سيفاقس شديد الحرص على تقوية العلاقات مع الرومان، إذ بعث بوفد إلى مجلس الشيوخ الروماني، حيث لقي استقبالا حسنا، ورجعوا إليه محملين بالهدايا11. فقد شارك إلى جانب الرومان بإسبانيا في حربهم ضد القرطاجيين سنة 211 ق م، لكن إصرار الرومان بنقل حربهم ضد القرطاجيين إلى أراضي بلاد المغرب القديم جعله يغير وجهته للتحالف مع القرطاجيين، مما يبين النضج السياسي والوعي الوطني لهذا الملك أثناء تلك المرحلة التاريخية.

علاقاته مع قرطاجة

إن ميل الدولة القرطاجية إلى الملك سيفاقس ناتج عن الموقع الممتاز الذي احتلته مملكته القريبة من شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث كانت ترابط القوات القرطاجية استعدادا للحرب البونية الثانية، وبالتالي ستضمن خط الرجعة لجيوشها عبر أراضي مملكة سيفاقس، وحماية ظهر جيوشها، وضمان الإمدادات اللازمة من أقرب الطرق12.

تعود علاقاته مع الدولة القرطاجية إلى بداية الحرب البونية الثانية 213 ق.م، في حين لم تذكر المصادر الأساليب التي استعملتها قرطاجة لاسترجاع سيفاقس

حليفا لها ضد الرومان، باستثناء زواجه بسيفونيسب Sphonisbe 13 ابنة القائد القرطاجي هسدر بعل جسكون Hasdrubal jescon سنة 205 ق م، وهو الجانب العاطفي الذي حظي باهتمام الكتاب، واعتبروه الورقة السحرية الرابحة التي اهتدت إليها قرطاجة من أجل كسب هذا الملك لجانبها.

وليس من المستبعد أن تكون تلك المصاهرة عملا سياسيا سعت قرطاجة من ورائه إلى خلق وحدة سياسية ببلاد المغرب القديم لمواجهة الرومان بالمنطقة14.

ومقابل ذلك، حدثت القطيعة بين ماسنيسا وقرطاجة، الذي رغم كل ما قيل فيها وفي أسبابها : هل هو تقارب بين سيفاكس وقرطاجة ؟ أم هو زواجه من بنت هسدر بعلHasdrubal، أم الأمران معا؟فهذه القطيعة كانت إحدى الأسباب في زحف سيفاكس على مملكة ماسينيسا 15 .

دعوته للسلم

نتيجة الوضع العسكري القرطاجي الذي أصبحت تظهر عليه علامات الإنهاك، خاصة بعد هزيمة إسبانيا، وسقوط مدينة قرطاجنة سنة 209 ق.م؛ والهجوم المعاكس الذي قام به سيبيون Scipion على الشواطئ القرطاجية سنة 204 ق م 16، كلها دلائل أصبحت واضحة المعالم بالنسبة للملك سيفاقس الذي لاحظ انتعاش القوات الرومانية، فأصبحت المعارك في صالحهم، خاصة بعد قطعهم الإمدادات على حنبعل بإيطاليا عبر المتوسط، مما كان ينذر بالخطر على قرطاجة وحتى الملك سيفاكس، لكن القائد الروماني لم يصغ لنداء السلم الذي ردده سيفاكس.

لقاء سيغا الدولي 206 ق.م

أرسل القائد الروماني سيبيون الذي كان يعسكر في شبه الجزيرة الإيبيريةإلى سيفاكس قائده العسكري لاليوس Laelius لكسب صداقته في حربهم ضد القرطاجيين، لكن اشترط على المبعوث الروماني أن يلتقي بالقائد سيبيون نفسه، لذلك اضطر هذا الأخير الانتقال إلى عاصمة ملك سيفاقس مدينة سيغا 17، والتي وصل إليها في نفس الوقت القائد القرطاجي سدر بعل بن جيسكون، فالتقى القائدين تحت رعاية هذا الملك بقصره لإيجاد تسوية وتوقيع وثيقة صلح 18، أراد من انعقاد هذا المؤتمر الدولي خلق نوع من التوازن بين روما وقرطاجة، وإقرار السلم بين القوتين، وبالتالي تجنيب بلاد المغرب حربا ستأتي على الأخضر واليابس. غير أن القائد الروماني صرح بأنه لا يكن أية عداوة شخصية للقائد القرطاجي، وفي نفس الوقت لا يستطيع البت في مسألة من اختصاص مجلس الشيوخ والشعب الروماني19.

بعد هذا اللقاء الدولي، إلتقى الملك سيفاقس للمرة الثانية بالقائد القرطاجي في سيغا لدراسة نتائج مؤتمر 206 ق م، وتقرير مستقبل الصراع القرطاجي الروماني. ولتثمين التحالف القرطاجي مع هذا الملك حيث أرسل سنة 204 ق م مبعوثين للقنصل الروماني شيبيون، الذي كان يعسكر بسراكوسا Syracusa سراقوسطة، ليعلمه أنه في حالة ما إذا نقلت حرب الرومان ضد القرطاجيين إلى أراضي بلاد المغرب القديم، فإن جيوشه ستحارب إلى جانب القرطاجيين20.يستخلص من ذلك نية الملك سيفاكس، ومحاولته حتى آخر لحظة الحفاظ على الأمن والسلم ببلاد المغرب القديم، على عكس ما ورد عند بعض المشككين في نواياه21.

عند نزول القوات الرومانية برأس أبولون Apollinis Promontorium رأس سيدي علي المكي شرقي خليج تونس بقيادة شيبيون سنة 204 ق م، انضم الملك سيفاقس إلى الجيش القرطاجي تحت قيادة هسدر بعل بن جيسكون .

رغم اندلاع هذه الحرب إلاّ أن هذا الملك كان يبحث دوما عن الفرصة السانحة لإبعاد الخطر الروماني عن المنطقة بما فيها مملكته، لذلك اتصل بالقنصل الروماني عارضا عليه التفاوض مع القرطاجيين لوقف الحرب وفق شروط منها : انسحاب القائد القرطاجي حنبعل Hannibal من شبه الجزيرة الإيطالية، والشأن نفسه بالنسبة للقائد الروماني شيبيون الذي عليه العودة بجيوشه إلى بلاده، لكن القائد الروماني تظاهر بقبول الصفقة، كما حاول هذا الأخير دوما إقناع سيفاكس بالعدول عن مناصرة القرطاجيين لكنه لم يفلح في ذلك، وكعادته المتحيزة للرومان يذكر المؤرخ بوليبPolybe 22 أن سبب فشل إقناع سيبيون

لسيفاكس بالأمر راجع إلى قوة شخصية زوجة هذا الملك سيفونيسب القرطاجية التي كانت تتدخل دوما في قراراته23.

مواصلة فيرمينا Virmina لسياسة حكم أبيه سيفاكس

خلفه في الحكم ابنه فيرمينا 24Virmina، الذي وقف إلى جانب القرطاجيين في المرحلة الأخيرة من الحرب البونية الثانية، وساعد القائد القرطاجي حنبعل Hannibalفي حضرموتوم Hadrametum سوسة، كما كان له دور كبير في معركة زاما Zama 202 ق م، والتي انتهت بهزيمة قرطاجة.فكانت النتيجة المباشرة لهذه المعركة هي تأسيس مملكة نوميديا التي شملت مملكتي الماسيل والماسسيل، زيادة على الأراضي التي تم انتزاعها من قرطاجة 25

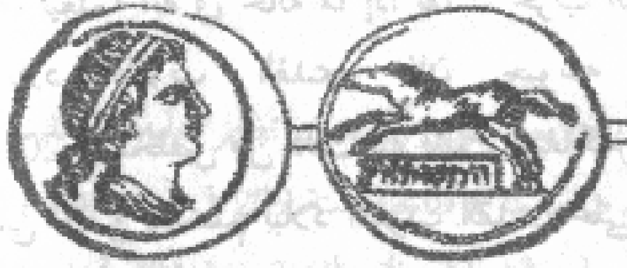

صورة الملك فيرمينا Verminaنقلا عن: Jean Mazard, Op cit pp 21

الخاتمة

إن تخريب قرطاجة وحرقها سنة 146 ق م، تسبب في فقدان تراث إنساني بكامله من مصادر أدبية سجلها الكتاب القرطاجيون أثناء تلك المرحلة التاريخية، وتبقى المعلومات التي وصلتنا عن تاريخ هذا الملك رومانية متحيزة.

لقد التزم بصداقته مع الرومان وفق ما اقتضته دبلوماسية العلاقات بينهما أثناء تلك الفترة الزمنية، لكنه بمجرد نقل الرومان الحرب على القرطاجيين إلى أراضي بلاد المغرب القديم، لم يتأخر لحظة في اتخاذ القرار الحاسم باختياره الجانب القرطاجي، مما يدل على وطنيته وحماية لوحدة هذه الرقعة الجغرافية المغاربية.

هوامش:

1 – أما عن الروايات التي تناولت أسطورة تأسيسها لقرطاجة فهي تتشاقة إلى التاريخ وتارة أخرى إلى الخيال . فهذه رواية تيمايوس التاورميني Timée deTaormine قائلا : تيوسّو وهو الاسم الذي تحمله عليسة في اللسان الفينيقي، وهي أخت بيغماليون ملك الصوريين، وهي التي أنشأت قرطاجة في لوبة أضاف الأعليون إليها لقب ديدو إشارة إلى ترحالها الطويل.......أنظر: محمد حسين فنطر، الفنيقيون بناة البحر المتوسط، منشورات البحر المتوسط، اليف، تونس، منشورات طوبقال، المغرب 1998، ص 103 .

2 – محمد البشير شنيتي، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق . م / 40 م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 2، 1985، صص 17–18

3- J.Mazard , Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque , Arts et Metiers Graphiques , Paris , 1955 pp18-20.

4- Tite Live , Histoire Romaine , XXIV,48,12, texte traduit par E . Lassére , Paris , 1928

5 - Strabon , Géographie ,XVII , 3 , 9 , traduction Amedée Tardieu , Paris , Hachettes , 1955

6-هي عاصمة الملك سيفاكس، كانت لها علاقة تجارية مع إسبانيا،وبالخصوص مع مدينة مالقة . هذا وقد ورد ذكرها في رحلة بسودو سكيلاكس . أنظر :

Pseudo -- Scylax , Périple 111,112, dans G.G.M , 1, 1882

7- Tite Live , XXVIII ,17

8-Itinéraire d'antonin , ed , Parthey et P inder , Berlin , 1948 , pp5-6

Pline l'ancien , Histoire Naturelle , V , 19 , texte établi et traduit et-9 commenté par , J.Désanges , Paris , Les Belles Lettres , 1980

10 - كان لسيفاكس عاصمتان في آن واحد

11 - S. Lancel , Hannibal , éd , Cérés , Tunis , 1999, p289 -12 محمد الصغير

غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1998، ص58–59

13 –محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 24

14 --كانت خطيبة ماسينيسا قبل زواجها من سيفاكس.

15 –محمد التازي سعود، صفحات من تاريخ المغرب القديم، منشورات فكر، الرباط، 2008، ص 53

16- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص28

17- G.Walter, LaDestruction deCarthage , 264-146 av. J-c, éd S. Lancel , op.cit

18-Albin Michel, Paris , 1947 , p393 p289

19 -Tite Live , XXVIII , 18

الصغير غانم، المرجع السابق، صص65– 66 محمد

20- J.Désanges , C. Nicolet , Rome et la conquête du monde

21- méditerranéen, T2, Paris , PUF , 1978 , p 647

22 - Polybe, XXXVII

من المحتمل -2423-Ibid, XXXVII

أن يكون الملك سيفاكس قد أشرك معه إبنه فرمينا .

25– محمد التازي سعود، المرجع السابق، ص